

عروبة الإمام أبي حنيفة النعمان

دكتور/ ناجي معروف

أبحاث الندوة الدولية للتاريخ الإسلامي
جامعة القاهرة / كلية الآداب

مجلة كلية الآداب/جامعة القاهرة

١٦ مايو ١٩٧٧

بِسمِ اللهِ الرّحَمنِ الرّحَيمِ

انْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَانْ يَخْذلكُمْ فَمَنْ ذاَ الّذَي
يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ .

صدق الله العظيم

سورة آل عمران ايه ١٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد

يعد الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان الكوفي ، من أهم الشخصيات في التاريخ و الحضارة العربية الإسلامية والتي كان لها دور كبير وفعال في النهضة العربية الإسلامية فهو صاحب مدرسة فقهية كبيرة، مازالت قائمة ، وصاحب المسجد الكبير في بغداد

.

تجمع جميع الروايات التاريخية المتداولة على عراقية الرجل وعراقية ولادته وتختلف ، في اصل اسرته ، فمنهم من قال فارسي ومنهم من قال افغاني . ومنهم من قال عربي

وهنا وجب علينا البحث والتدقيق والتقرير ، حسب المعطيات التاريخية . والجغرافية المتاحة

فمن الثابت والمعلوم تاريخيا ، إن الرجل ولد في الكوفة بالعراق لأسرة عراقية صميمة والراجح انه من الانبار من ارض بابل (العراق) . وتؤكد المصادر التاريخية ان العراق كانت تسكنه القبائل العربية قبل الفتح الاسلامي ،

بشكل كبير وكان لها الدور الأكبر والمتميز في عمليات التحرير العربية الاسلامية ،

واجمعوا على ان ديانة اهله كانت نصرانية وهي ديانة عرب العراق وديانة (دولة المناذرة العربية ،بل ان اسم الامام ابوحنيفة (النعمان فيه دلالة تاريخية كبيرة على انتماء ابائه الى عرب العراق الذين سكنوه قبل الاسلام فهو اسم لملك مهم من ملوك العراق العرب، كانت له صولات ضد الدولة الساسانية التي كانت جاثمة على قلوب اهل العراق لحقبة طويلة من الزمن .

قال الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هج) : كان ابو حنيفة نبطيا ، اي من عرب سواد العراق ، وكانت أسمائهم تدل عليهم ، كحارثة وجبلة والنعمان وغيرها من الأسماء العربية الصريحة ، وفي رواية أخرى للخطيب يؤكد انه انحدر من الانبار في غرب العراق وهو الراجح لدينا لانه المكان الوحيد الذي حدد بالذات داخل ارض بابل مما يدل ثبوت الرواية ، وفي رواية مرفوعة الى حفيده القاضي اسماعيل بن حماد ، قال : نحن ابناء فارس الاحرار ،

والمعروف ان الابناء في تلك الحقبة من العرب المولدين ومن المعلوم ان عاصمة فارس كانت المدائن (طيسفون) اي المقصود انه من ابناء العراق والذي كان جزءا من دولة فارس الساسانية ومركزها، واكد ابن ساباط انحداره العربي- العراقي بالقول (ولد ابو حنيفة وابوه نصراني) والمعروف ان عرب العراق نصارى وفرسه زرادشتيون وهم قله — رجعت الى ديارها في فارس بعد الفتح ، وقال الكردري في مناقب ابي حنيفة ، وهو من اعلام الاحناف ، ان ابا حنيفة من اهل بغداد قبل دخول العباسيين اليها وقال : انه من اهل بابل (والعراق كله كان يعرف ببابل- وبابل التاريخية هي العراق الحالي : حوار مع طه باقر .

ومجموع هذه الروايات تؤكد تحريف كلمة بابل الى كلمة كابل عند ابن النديم والذي قال انه من كابل ، وهذا ليس له سند تاريخي او جغرافي واستنادا الى مقولة : (اهل مكة ادرى بشعابها) ،توكد المصادر الحنفية، انه عربي الارومة ، وان ثابت بن النعمان بن المرزبان ، من بني يحيى بن زيد بن أسد ، من عرب الازد الذين هاجروا من اليمن وسكنوا ارض العراق بعد انهيار سد مأرب جراء سيل العرم .

وهناك بعض الدراسات الحديثة ، تصر اصرارا مقيتا على كونه فارسي ، بدون التثبت من المعلومة او حتى مقارنتها مع مثيلاتها ، ككتاب الفقيه المصري –محمد ابو زهرة في كتابه عن ابي حنيفة– والرجل فقيه لا مؤرخ وان كتب في تاريخ الفقه ، ورجاله ، ومن جاء بعده اعتمد عليه مع الاسف الشديد ، ولقد اخبرني الشيخ محمود شلتوت (شيخ الازهر الشريف) انه مقتنع تماما ان الامام الاعظم عربي النسب ، وقد ناقش ابا زهرة في كتابه بعد نشره ووعده بنشر النقاش ولكن المنية لم تمهل الرجل والذي اشار في هامش كتابه الى وجود هذه الروايات التي تقول بعروبة الامام الاعظم وينسبها الى متعصبي الحنفية– ولست ادري –هل درى ان الحنفية هم اصحاب مذهبه واتباعه واعرف الناس به وبتاريخه .

ومن المستشرقين أستغرب المستشرق الكبير ، كارل بروكلمان في دراسته المنشورة ،في المجلة الالمانية للمستشرقين ،حول غفلة المؤرخين العراقيين عن عراقية ابي حنيفة وكونه من عرب الحيرة القدامى ، ونسبته الى غير اهله ، وهو رمز بغداد الوطني ، ومن الاحناف الهنود يؤكد الشيخ شاه ولي الله

الدهلوي الفاروقي (ت١٧٦٢) ان الامام الاعظم من العرب لا غيرهم ، وانتقد بشدة كل من نسبه لغيرهم

.

وخلال مناقشتنا للموضوع انا والمرحوم مصطفى جواد ، بحضور الدكتور حسين علي محفوظ والدكتور عبد العزيز الدوري، في دار المعلمين العالية، قال الرجل مقتنعا ، الغريب نحن العراقيون ننسب اعلامنا الى غيرنا ، في ظل روايات، متوفرة في العديد من المصادر وان جل المصادر الحنفية تؤكد نسب أبي حنيفة العربي كونها الأقرب والادرى – بصاحبهم واما ارتباطه بتيم فهو من باب الاتحاد القبلي وهذا معروف لان اغلب عرب العراق تحالف مع القبائل الفاتحة ودخلت معها في احلاف ، واستمرت هذه الحالة في العراق حتى العصر الحديث ، .

ومن المعلوم ان مصطفى جواد خط لنفسه منهجا معلوما وهو اعتماد المصاددر القريبة لموضوع البحث : اي اذا كتب عن بغداد فيعتمد مؤرخا

بغداديا وإذا كتب عن دمشق يعتمد مؤرخا دمشقيا واذا كتب عن .. الشافعي يعتمد مؤرخا شافعيا . .وهكذا

وخلاصة تتبعي للموضوع عبر سنين طويلة وتأملي له ، رجحت إلى إن الإمام أبي حنيفة عربي النسب ،أصله من عرب الانبار في العراق والذين سكنوا قبل الإسلام ، هذا ما يقرره البحث والمنطق ولا عبرة بتكرار الروايات المتشابهة التي نقلت عبر الزمان بلا تدقيق ولا تحقيق وإغفال لعروبة وعراقية الرجل ولصقه بقوم ليسوا قومه ، وليسوا أهله ، فقط إرضاء لنقلة العنعنات الطويلة والتي لم تعد تصلح لزماننا هذا إلا بعد وضعها تحت طاولة البحث العلمي والتاريخي الدقيق وإقرار ما وافق العقل واستبعاد ما خالفه **. خدمة لتاريخنا وامتنا .

ناجي معروف الاعظمي

مصادر

رسالة من أبي حنيفة الى-

عثمان البتي –مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦١٧ ميكروفلم ٣٩٧٦٢

مجهول ،سيرة أبو حنيفة –تحت رقم ١٣٧٨–علم الكلام ، ميكروفلم - ٣٩٩٢٧.

ابو منصور الماتريدي ،تاريخ ابو حنيفة –مخطوط بدلر الكتب المصرية - ،تحت الرقم ٢٥٨–عقائد تيمور –ميكروفلم رقم ٣٠٦٠٥

محمد بن يوسف –مناقب الامام الاعظم –مخطوط بدار الكتب المصرية -

تحت الرقم ١٠٧.

-البزازي ،مناقب الامام ابي حنيفة–مخطوط النظامية الهند رقم ١٣٢٩.

- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،مخطوط دار الكتب المصرية ٩٨٥ تاريخ

،ميكروفلم رقم ٢٠١٦.

- شاه ولي الله ، سيرة ابي حنيفة النعمان ، مخطوط صغير ، جامعة

عليكرة رقم

٩٦٣٥.

الدكتور ناجي معروف

أَبَدًا أَحِنُّ إِلَى لِقَاكَ بِمَسْجِدٍ

قَامَتْ بِهِ الجُمُعَاتُ وَالأَذْكَارُ

وُلد الدكتور ناجي معروف في مدينة الأعظمية في بغداد عام 1910م[1].

حيث أكمل تعليمَه الأولي فيها، ثم تخرَّجَ مِن دار المعلِّمين العالية (كلية التربية)، سافَر بعدها إلى باريس؛ لينال شهادةَ الدبلوم من معهد اللوفر، ثم درَس الدكتوراه في جامعة السوربون بباريس، لكنَّه لم يُمنح اللقب بصورةٍ

رسمية؛ وذلك لعدمِ مناقشة الأُطروحة بسببِ سحْب طلاب البعثة من باريس لاندلاع الحرْب العالمية الثانية.

ويُعتبر الدكتور ناجي معروف – رحمه الله – مِن أبرز أعلام الأدَب والثَّقافة والعِلم في العراق، تسنَّم مناصبَ عدَّة، أبرزها: عضوية المَجمع العِلمي العراقي، كما عمِل عضوًا في مجلس الخِدمة العامَّة في جمهورية العِراق.

وعَمِل أستاذاً في كلية الآداب (جامعة بغداد)، كما كان مؤسّسًا ورئيسًا لمنتدَى الإمام أبي حنيفة في الأعظميَّة مع نُخبة فاضلة مِن علماء ومثقَّفي الأعظمية.

عُرِف المُترجَم لهُ بأخلاقه العالية، والتزامِه الدِّيني، فكان مثلاً لكلِّ مَن عرَفه من طلاَّب علم وأساتذة روَّاد.

تُوفي الدكتور ناجي معروف وهو يؤدِّي مناسك العمرة في الدِّيار المقدَّسة عام 1977م[2].

وكان – رحمه الله – يدْعو إلى تكريمِ الأحياء مِن العلماء قبلَ تكريم الأموات منهم؛ إذ يقول في مقدمته لكتاب "أعلام العراق الحديث للمحامي باقر أمين الورد": "إنَّ أقل ما يُكرَّم به العلماء، وأدْنَى ما يُنعَم به على مَن يُفني حياته في خدمة بلاده وتراث أُمَّته – أن تُكتبَ سيرتُه في حياته، وأن يُكرَّم وهو حي، وأن يُبوَّأ المكانةَ التي تَليق به بيْن الناس وهو حي، وعلى هذا فإنِّي أرَى "تكريمَ الأحياء قبلَ تكريم الأموات".

، فيها [3]ولعلَّ هذه الكلمات كانتْ آخِر ما كتبه أو آخر مقدّمة كتَبَها لغيره مِن العبرة ما يدْعونا إلى تكريم علمائنا الأحياء، قبلَ أن نَرثيَهم وهم أموات.

بقصيدة جاوزتْ – [4]وقد رثَاه الشاعرُ وليدٌ الأعظمي – رحمه الله جاء فيها: 1977 أبياتها الثلاثة والثلاثين بيتًا في شهر أب من عام

أَبدًا أَحِنُّ إِلَى لِقَاكَ بِمَسْجِد
قَامَتْ بِهِ الجُمُعَاتُ وَالأَذْكَارُ

مُتَأَمِّلاً فِي السَّاجِدِينَ وَفَاحِصًا

وَتَدُورُ حَوْلَ نَوَاظِرِي الأَنْظَارُ

هَذَا مَكَانُكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا

يَلْقَاكَ فِيهِ صِحَابُكَ الأَبْرَارُ

[5]وَيَرِنُّ فِي أُذُنِي صَدَاكَ (بِمَجْمَعٍ

حُجُرَاتُهُ فِيهَا النِّقَاشُ يُدَارُ

بِالعِلْمِ وَالعِرْفَانِ شَعَّ سَنَاؤُهَا

تَسْمُو بِهَا الآرَاءُ وَالأَفْكَارُ

وَ(بِمُنْتَدَى النُّعْمَانِ) كَمْ مِنْ نَدْوَةٍ

فِيهَا يُجَلْجِلُ صَوْتُكَ الهَدَّارُ

أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ بَاحثًا وَمُنَقِّبًا

تَحْلُو لَكَ (الأَسْفَارُ) وَالأَسْفَارُ

وَخَتَمْتَهُ بِالصَّالحَاتِ بِرِحْلَةٍ

يَشْتَاقُهَا (الذَّهَبِيُّ) وَ(الأَبَّارُ)

وَتَمُوتُ فِي أَرْضِ النُّبُوَّةِ صَائمًا

وَ(قُرَيْشُ) حَوْلَ النَّعْشِ وَ(الأَنْصَارُ)

ولأنَّ العلماءَ لا نرثُ منهم سوى العلم، وليس أغْلى وأثمن مِن العلم شيء، فقدْ تركَ الدكتور ناجي معروف مؤلَّفاتٍ وبحوثًا كثيرة في الأدَب والتاريخ، نذكُر منها:

1- المنتخبات الأدبيَّة.

2- المدرسة المستنصريَّة.

3- علماء المستنصريَّة.

4- مقدّمة في تاريخ المستنصريَّة وعلمائها.

5- المدخَل في تاريخ الحضارة العربيَّة.

6- المدرسة الشرابيَّة.

7- خطط بغداد.

8- تاريخ علماء المستنصريَّة في مجلد واحد.

9- تَثنية الأسماء التاريخيَّة.

10- التوقيعات التدريسيَّة.

11- عروبة المدن الإسلاميَّة.

12- المدارس الشرابيَّة ببغداد وواسط ومكة.

13- مقدّمة في تاريخ مدرسة أبي حنيفة وعلمائها.

14- تاريخ علماء المستنصريَّة في مجلدين.

15- علماء ينسبون إلى مُدن أعجمية وهم مِن أرومة عربيَّة.

16- موجز تاريخ الحضارة العربيَّة (بالمشاركة مع الدكتور عبدالعزيز الدوري).

كما له مؤلَّفات بالاشتراك مع مؤلِّفين آخرين، وله العديدُ من البحوث العلميَّة والتاريخيَّة في المجلاَّت العراقيَّة نذكر منها:

1- تكوين رأي عام لعقْد مجمع التشريع الإسلامي.

2- أسلوب البحْث العلمي عندَ المحدثين.

3- أوَّل جامعة ببغداد.

4- موارد الضمان الاجتماعي في الإسلام.

5- ضوء جديد على أوقاف المستنصريَّة.

6- خزانة المستنصريَّة.

7- بلاد أوربيَّة حضرها العرَبُ.

8- أوَّل تأميم في العراق.

9- تكوين الجِيل الصالِح.

10- مزايا الحَرْف العربي.

11- مشروع الضحيَّة.

(انتهى)

[1] أدباء المؤتمر: عبدالرزاق الهلالي: 1966.

[2] أعلام العراق الحديث (قاموس وتراجم): باقر أمين الورد: 1978م.

[3] إنَّ ما يدلُّنا على ذلك، تلك المقالة التي كتَبَها المحامي باقر أمين الورد في كتابه آنف الذكر تحتَ مقدمة الدكتور ناجي معروف قال فيها: "أستاذنا الكريم المرحوم الدكتور ناجي معروف، كم كنتُ أتمنى أن تكون حيًّا وترى كتابي يخرجُ إلى حيِّز الوجود، وتبقَى لتفيدنا بعلمك وعملك، ولكن لا رادَّ لمشيئة الله، حيث وافاك الأجل وأنتَ تعتمر في الدِّيار المقدَّسة، فعزاؤنا بمن خلفت وبما خلفت، وإنَّا لله وإنا إليه راجعون".

[4] الشاعر الإسلامي والخطاط وليد الأعظمي – رحمه الله – هو أيضاً من مؤسِّسي وأعضاء منتدى أبي حنيفة النُّعمان في الأعظميَّة.

[5] يشير إلى المجمع العلمي العراقي.

أعاد طبعه لوجه الله تعالى

دكتور/ محمد حنفي

جامعة القاهرة